توظيف الانظمة اللونية في تصميم سينوغرافيا العرض المسرحي العراقي
(عرض مسرحية علي الوردي وغريمه أنموذجاً)

أ.م.د. محمد عبد الرحمن الجبوري
جامعة بغداد/ كلية الفنون الجميلة

ملخص البحث :

تعد الالوان والانظمة اللونية واحدة من الدراسات المهمة على صعيد توظيف الفنون التشكيلية وعلى رأسها الرسم والنحت في بناء وتصميم عناصر سينوغرافيا العرض المسرحي المتمثلة بالمنظر والاضاءة والازياء والاكسسوار والمكياج، ونظراً لتلك الاهمية جاءت دراستنا لتحيط نظرياً بموضوعة الانظمة اللونية والخصائص والدلالات التي تحققها، وشملت الدراسة الفصل الاول وهو الاطار المنهجي الذي تناول الباحث فيه مشكلة البحث والحاجة اليه واهمية البحث واهدافه وحدود البحث ثم تحديد المصطلحات الواردة وهي (التوظيف، الانظمة) .

ثم جاء الفصل الثاني وهو الاطار النظري، إذ تناول الباحث فيه مقدمة في دراسة اللون، ثم دراسة الانظمة اللونية وتصنيفها، وبعد ذلك تناول الباحث مميزات اللون (الصبغة، القيمة، قوة التشبع) وفي المبحث التالي بحثنا التوظيف اللوني ومستوياته (الشكلي، الموضوعي، الجمالي)، وبعد ذلك تناول الباحث القيم الدلالية للون، وخلصنا الى اهم مؤشرات الاطار النظري، وفي الفصل الثالث (إجراءات البحث) حيث جلّل الباحث عرض مسرحية (علي الوردي وغريمه) اخراج عقيل مهدي يوسف، كعينة تحليلية للبحث .

وفي الفصل الرابع خرج الباحث بمجموعة من النتائج والاستنتاجات، والمصادر والمراجع.

الفصل الاول : الاطار المنهجي

مشكلة البحث والحاجة اليه :

يدرك الجميع مايشغله اللون من مكانه مهمة في اوجه النشاط الانساني بشكل عام والنشاط الفني المسرحي بشكل خاص، إذ يعد من اهم العناصر التي تمكن الانسان من التعامل مع عناصر الكون، فيميز به بين المساحات والكتل، بين المتشابهات الموجودات في الطبيعة، وهو اضافة لذلك يؤدي دوراً اساسياً في تحقيق وبناء الفكرة التصميمية من خلال علاقات المنظومة اللونية، او الاستفادة من السمات اللونية وتقنية تنظيمها في اماكنها المناسبة ارتباطاً بالمعنى السايكولوجي للموضوع الخاص بالتصميم.

وقد يبدو ان استخدام اللون في الفنون التشكيلية متبايناً عن استخدامه في الفنون المسرحية، الا انه في الحقيقة يعتمد على نفس المباديء في التضاد والانسجام الهارموني والبروز والابتعاد، إضافة الى مساهمته الفاعلة في تحقيق الظل والضوء في الصورة .

يعتمد العرض المسرحي من بين مايعتمد على مجموعة من العناصر التقنية (السينوغرافيا) التي تشكل خلفية جمالية وبيئية او شكلية للعرض المسرحي، ويساهم اللون من خلال وظيفته في جميع تلك العناصر بدون استثناء فهو يشكّل العمود الفقري بينهما من خلال الانسجام اللوني المتحقق بين المنظر والاضاءة والازياء والقطع الاكسسوارية (الملحقات المسرحية) المستخدمة في ذلك العرض. وبما ان وظيفته تتداخل بين الفنون التشكيلية والفنون المسرحية، لذا زاد اهتمامنا في تناول موضوع توظيفه في تقنيات العرض المسرحي من خلال الاجابة على التساؤل التالي:

هل هناك امكانية في توظيف الانظمة اللونية في تصميم سينوغرافيا العرض المسرحي العراقي .

اهمية البحث :

تعد دراسة الالوان واحدة من الدراسات القليلة قياساً الى الدراسات اللغوية والادبية والفلسفية، وهذه الدراسة هي محاولة في سبر اغوار الانظمة اللونية والاستفادة منها في صياغة وتصميم التقنيات المسرحية، وهذه الدراسة تفيد جميع الدارسين في كليات ومعاهد الفنون الجميلة بالاختصاصات التشكيلية والمسرحية والسينمائية والتلفزيونية كافة على حد سواء .

هدف البحث :

دراسة الانظمة اللونية المتبّعة وآلية توظيفها في تصميم تقنيات العرض المسرحي.

حدود البحث :

الموضوعية : الالوان في تقنيات العرض المسرحي (علي الوردي وغريمه) .

الزمانية : ٢٠٠٨

المكانية : المسرح الوطني بغداد

تحديد المصطلحات :

١- توظيف .

٢- الانظمة .

التوظيف :

يعرف لغوياً بأنه "توظيف الشيء على نفسه، وظّفه توظيفاً يعني الزمه إياه، ويُقال استوظف اي استوعب ذلك كله" .[١]

وعرفه وبستر بأنه "شكل محدود ومعقول، خاضع لقوانين عملية، ويعتمد على التدريب المسبق الناتج عن الخبرة المحلية العملية من اجل القيام بعملية التحويل من الناحية النظرية البحتة الى قواعد عملية تتطلب ترجمة تعبر بصدق عن قلب تلك النظرية ولكن بشكل عملي" .[٢]

اما التعريف الاجرائي فيعرفه الباحث على انه اعادة صياغة العناصر والاشكال المرتبة والمبثوثة في الموقف البصري للعرض المسرحي من حيث ان لتلك الاشكال قيمة معرفية وسيكولوجية وتعبيرية في ذات المتلقي ومرجعياته .

الانظمة :

وهي لغة مشتقة من الفعل نظم، ونظمه تنظيماً ومثله، ونقول نظم الاشياء الفها، وختم بعضها الى بعض، ونظّم اللؤلؤ ونحوه: جعله في سلك واحد، ونظم المعاني: رتبها وجعلها متناسبة العلاقات متناسقة الدلالات على وفق مايقتضيه العقل.[٣]

وعرفها وبستر بأنها "مجموعة العناصر المترابطة وظيفياً" .[٤]

وعرّفه (برايجز) بأنه "طريقة نظرية System approach لتخطيط وبناء الوسائل والنظم لمواجهة الحاجات والاهداف والاختيارات وتقدم من خلال علاقة كل واحد منها بالآخر وبشكل منظم .[٥]

اما التعريف الاجرائي فقد تبنى الباحث تعريف وبستر الذي يقول بأن الانظمة هي مجموعة العناصر المترابطة وظيفياً .

الفصل الثاني : الاطار النظري :

المبحث الاول – مقدمة في دراسة اللون والانظمة اللونية

تحسس الانسان القديم الالوان من خلال رؤيتها من حوله، وفكر في تزيين كهفه ثم منزله فيما بعد، حتى اهتم بالدلالة الرمزية للون وفقاً لوجوده في الطبيعة .

وقد رمز الانسان في بلاد وادي الرافدين باللون لأماكن العبادة مثل الزقورات والابراج، وكانت زقورة اور توحي بثلاثة الوان، الاسود ويوحي بالعالم السفلي، والاحمر ويوحي للارض والازرق ويوحي للسماء، وكذلك الانسان في بقية الحضارات مثل وادي النيل، وبلاد الاغريق والرومان وحتى في حضارات جنوب شرق آسيا وغيرها .

ومن اجل دراسة اللون بشكل علمي ودقيق علينا ان ندرس الضوء، لان العلاقة التي تربط

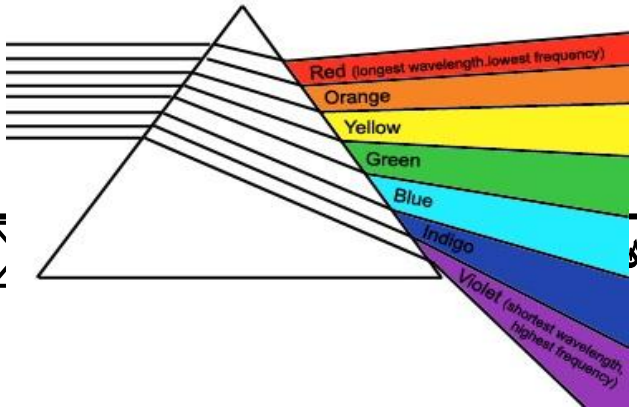

ما بين الضوء واللون هي علاقة متينة وجدلية، ولا يمكن دراسة احدهما دون الآخر، فالألوان لا ترى الا من خلال الضوء كما يقول ارسطوطاليس، وان الضوء هو الذي ينتج الالوان فقد مرر نيوتن شعاعاً من ضوء الشمس من خلال موشور زجاجي فحصل على مجموعة خطوط شعاعية لمختلف الالوان، اطلق عليها (الوان الطيف الشمسي) وهي مكونة من سبعة الوان كما مبين في الشكل التالي .

وهذه الالوان السبعة على التوالي الاحمر، البرتقالي، الاصفر، الاخضر، الازرق، النيلي، والبنفسجي . ان هذه الالوان المرئية في الطيف الشمسي هي جزء صغير من الوان الطيف الكهرومغناطيسي والتي تشمل كذلك الالوان غير المرئية مثل الاشعة تحت الحمراء والموجات الراديوية والاشعة البنفسجية واشعة اكس X وخارطة الاشعاع من والى اللون البنفسجي وكذلك خارطة الاشعاع اللوني من والى اللون الاحمر كما في الشكل رقم (٢) .

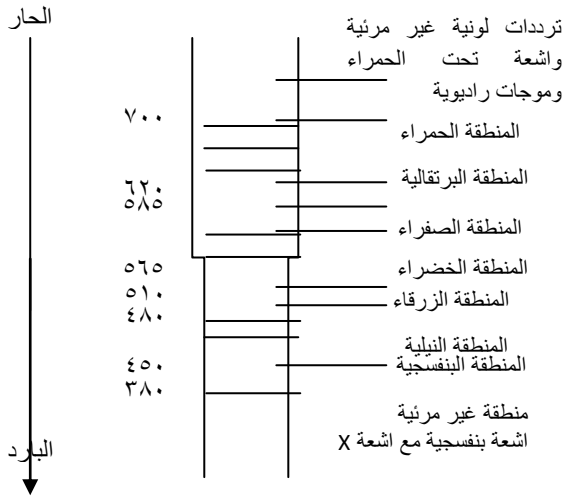

شكل رقم (٢) : شكل يبين الوان الطيف الشمسي على وفق قانون التتابع اللوني تحتها، وفوقها، اشعة غير مرئية

ولكي نتمكن من دراسة الالوان بشكل صحيح، علينا قبل كل شيء ان نتعرف –وبشكل مباشر– على العدد الهائل من الالوان الموجودة في الطبيعة، إذ تأكد قديماً بأن الالوان تنقسم الى مجموعتين كبيرتين هما :

الاولى : غير اللونية (شبحية) كما في الشكل رقم (٣)

الثانية : اللونية (ملونة) كما في الشكل رقم (٢)

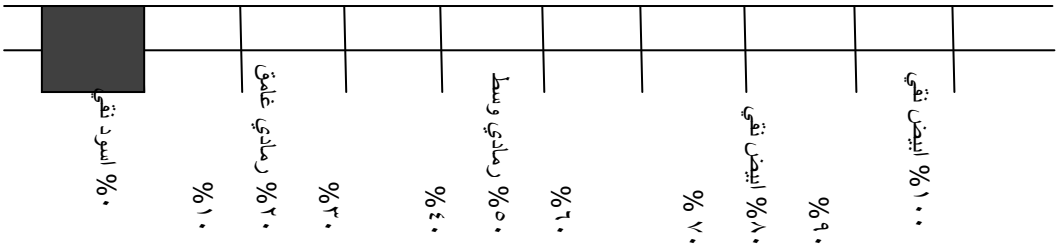

شكل رقم (٣) : يبين السلم اللالوني بعشر درجات (الشبحية)

وتضم المجموعة الاولى كل من الاسود والابيض وجميع درجات الرصاصي (الرمادية) التي تقع بينهما كما في الشكل رقم (٣) ، وهذه الالوان هي التي نطلق عليها (الشبحية) غير الملونة، وتتدرج من الاسود النقي مروراً بالدرجات الرمادية الغامقة ثم الوسط ثم الفاتحة وخطوط الاتصال بينهما وصولاً الى الابيض النقي .

ولعين الانسان القدرة على تمييز الوان الطيف الواقعة في المدى من ٤٠٠ وهي اقصر الموجات المرئية (اللون البنفسجي) الى ٧٠٠ وهي اطول الموجات المرئية (الاحمر) كما في الشكل رقم (٢) .

ان المتعة التي يبعثها اللون تتأثر بتركيب الصبغة اللونية والنظم اللونية المعروفة، وتؤثر في تنظيم الفضاء بعناصره البنائية ومواضعها وأحجامها، ولذلك فأن نجاح العمل التصميمي يعتمد بنسبة كبيرة على مايمتلكه المصمم من قدرة على خلق مؤثرات من الطاقة اللونية واستثمارها بالشكل المناسب والمطلوب، وهذا –بكل تأكيد– يتطلب معرفة المصمم بماهية اللون وخصائصه وانظمته وطرائق توظيفها في البناء التصميمي لسيتوغرافيا العرض المسرحي بكل عناصرها، ويكتسب اللون دوراً فاعلاً في الراحة والمتعة البصرية، ويمكن ان يتأسس كل ذلك من خلال استخدام علاقات لونية منسجمة مع الاشكال الموجودة والبناء العام للفكرة التصميمية التي يقدمها السينوغراف . وان اي عملاً تصميمياً لسينوغرفيا العرض سيكون اعتباطياً وعشوائياً إذا لم يستند الى نظام لوني معين، ومايهمنا هنا هو كيفية اختيار الالوان واستعمالها او توظيفها في العمل

التصميمي بشكل متوافق لتحقيق الاثارة والجذب ومن ثم خلق علاقة تفاعلية بين المتلقي والمنظر او الفضاء المسرحي بما يحقق الهدف العام والفكرة الرئيسية للعرض المسرحي .

وبإمكاننا ان نصنف الانظمة اللونية الى ثلاثة اصناف رئيسة هي :

١- النظام اللوني .

٢- النظام اللالوني (اسود وابيض) مع لون .

٣- النظام اللالوني (اسود وابيض) ودرجاتهما .

ويشمل النظام مايأتي :

١- النظام السداسي للألوان .

٢- النظام الثلاثي : وهو يشمل الالوان الاساسية المتمثلة بالأحمر والأصفر والأزرق في الصبغات، والأحمر والأزرق والأخضر في الضوء (الموجات الضوئية) وتشمل كذلك الالوان الثانوية وهي الاخضر والبرتقالي والبنفسجي . وتقوم الالوان الاساسية بإنتاج الالوان الثانوية وعلى الشكل التالي :

احمر	+	اصفر	=	برتقالي	
احمر	+	ازرق	=	بنفسجي	
ازرق	+	اصفر	=	اخضر	

شكل رقم (٤)

يبيّن كيفية انتاج الالوان الثانوية

٣- نظام الالوان المتوافقة او (المتجاورة) وتشمل الالوان الحارة المتمثلة بـ(الاحمر والبرتقالي والاصفر) والالوان الباردة وتمثل (الاخضر والبرتقالي والبنفسجي) وهذا النظام بإمكانه ان يتفرع الى اثنتي عشر نظاما فرعياً .

٤- نظام الالوان المتوافقة مع حركة مكملة، وهو يمثل تحوير لتناغم الالوان المتجاورة بإضافة لون مكمل يكسب تصميم الفضاء بعض التنويع والاثارة، ويمكن توظيف هذا الترتيب (النظام) كمحفز بصري جاذباً لانتباه المشاهد من خلال التحكم في درجات القيمة والتشبع لتلك الالوان والمساحات التي تشغلها، فمثلاً يمكننا استخدام اللون الاخضر والاخضر المزرق والازرق مع اللون المكمل وهو (البرتقالي المحمر) واللون الاصفر المخضر والاخضر والاخضر المزرق) مع اللون الاحمر وكذلك اللون (البرتقالي والبرتقالي المصفر والاصفر) مع اللون البنفسجي المزرق وهكذا نجمع الالوان المتوافقة مع اللون المكمل الذي ينقص تشبعها .

ويتميز اللون بثلاثة انواع من الابعاد هي :

١-الصبغة hue

٢-القيمة value

٣-قوة التشبع او الاشعاع intensity

اما الصبغة فهي التسمية الاساسية لأي لون كان نقول اللون الاحمر اي بمعنى اسم ذلك اللون، وهو يشكل البعد الاول للون .

اما القيمة فهي البعد الثاني لذلك اللون وهي عبارة عن درجات (النور – الظلام – الظل) ولكل من هذه الدرجات قوة وضعف ولعمل النور (صبغة اللون) نضيف لوناً ابيضاً للون الاصلي ليعطينا درجات لونية تصلح للاضاءة، اما لعمل الظل فنضيف لوناً اسوداً الى اللون الاصلي وبدرجات نحصل على درجات من الظل في اللون .

واما قوة التشبع فهي البعد الثالث للون وهي تعني قوة اللون (قوة اشعاعه) او ماتسمى بنقاوة اللون وصفائه .

والالوان بكل انواعها تساعد على :

١-اعطاء حركة في فراغ السطح تساعد على التصوير والرسم .

٢-خلق حالات ابداعية تشعر المتلقي بالمتعة الحسية والذهنية .

٣-تأكيد الاشكال التي يكونها الانشاء التصويري للمكان والفضاء على حد سواء، بوساطة اللون الظاهر على سطوحها .

٤-اعطاء قيماً ضوئية متفاوتة في تكوين الاشكال او الظلال والعلاقات ضمن الوحدة الانشائية .

٥-ابراز الحياة العاطفية للفنان المصمم (السينوغراف) .

٦-تأكيد الحدود الخارجية للشكل المطلوب التركيز عليه .

٧-خلق الايهام بالحركة من خلال طبيعة التكوين في المنظر .

المبحث الثاني – التوظيف اللوني :

من المعروف بأن اللون والنظام اللوني يعمل في الحقول التشكيلية كحاظنة طبيعية له ولكن في المسرح ينبغي ان يخضع لبعض التغييرات التفسيرية والدلالية وتوظيفه لعمل العناصر التقنية التي تشتغل على اللون والنظام اللوني لايجاد سينوغرافيا العرض المسرحي، وهذا يتطلب استخلاص العناصر اللونية وخصائصها ودلالاتها الفكرية والجمالية لحمل المتلقي على التفاعل مع

تلك العناصر جنباً الى جنب مع اداء الممثل فوق خشبة المسرح، إعتماداً على الحقيقة الافتراضية التي تجعل الانسان قادراً على ان يخوض تجربة الممكنات كوقائع لتحولها الى اشكال تأويلية[٦] .

إن هذا التوظيف المحتمل والمفترض للعناصر اللونية يحتاج الى مايأتي :

١- الفهم التام والعميق لكل العناصر اللونية وخصائصها وانظمة عملها .

٢- انتقاء النظام اللوني المناسب والحالة التصميمية للعنصر السينوغرافي في العرض المسرحي على وفق الانظمة اللونية التي تم الاشارة اليها .

٣- الموازنة بين المعنى الدلالي والفكري والجمالي لكل لون موظف مع شكل وحجم ومعنى العنصر السينوغرافي المطلوب توظيف اللون فيه .

ومن اجل تحقيق ذلك التوظيف علينا العمل على التدقيق في مستويات ذلك التوظيف وهي تشمل :

١- المستوى الشكلي

٢- المستوى الموضوعي

٣- المستوى الجمالي

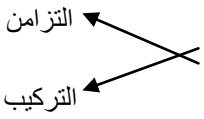

تعد الواقعية الارضية الاكثر خصوبة في مجال التوظيف الشكلي إذ ان الواقعية ترتكز في جانب من بنيتها الفكرية على مفهوم المحاكاة، وان فكرة المحاكاة بمعناها الواقعي هي التأكيد على جماليات الواقع وغناه، وتوثيق تفاصيله الشكلية واللونية[٧] لذلك فإن الالتزام بهذا المنهج الفني كإطار مرن ومقبول لمنهجية التوظيف الشكلي للعناصر اللونية وانظمتها .

ولهذا السبب نجد بأن المنظر المسرحي بوصفه عنصراً سينوغرافياً يتفاعل واقعياً مع الضوء واللون لخلق جمالية الشكل الفني والتعبير عن الجو والبيئة الفنية للأحداث لأن "البناء الضوئي يعمل على الجمع بين عناصر متعددة ومختلفة، ويعمل على تنظيمها وترتيبها معاً داخل إطار ذو وحدة واحدة، ليجعل من تلك العناصر بناءاً واحداً يتميز بالوحدة والتكامل بين عناصر العمل الفني"[٨] .

اما المستوى الموضوعي فإنه يتأسس على مفهوم الوعي الذي يحيط بالمبدع ودرجته وعمقه. ومدى تحقيق امكانية واضحة لتوظيف العناصر اللونية وانظمتها، إذ ان الالتزام بموضوعية العنصر اللوني لاي عنصر سينوغرافي .

إن الاطار الموضوعي لتوظيف تلك العناصر والانظمة اللونية يتحدد بمستوى العلاقة بين اللون وانظمته من جهة وبين عناصر السينوغرافيا المعتمدة على تلك الالوان من جهة اخرى وربط

العلاقة بينهما بشكل موضوعي، ويرى الباحث بأن التوظيف الموضوعي للانظمة اللونية يعتمد على مايلي :

١- التطور المادي للاشكال والنظم اللونية والمكونات البصرية، وخاصة في البناء المنظري.
٢- التأثيرات النوعية والكمية لمفردات عناصر السينوغرافيا ضمن الواقع المطلوب وعلى وفق السياق المعروف للانظمة اللونية المستخدمة في تلك النوعيات وكميتها .
٣- الطبيعة اللونية ودلالتها الواقعية او غير الواقعية بعد الاستخدام التقني في عناصر سينوغرافيا العرض .

ويتفرع المستوى الموضوعي الى مستويين هما :

١- **التزامن** : ويعني الالتزام بالتتابع الزمني والتطور الجمالي للعناصر اللونية واستخداماتها عبر العصور، لأن ذلك يعد ضرورياً لما يعطيه للصورة من دلالات متعددة، كما يعطي الاجواء اكثر من وجه، وبهذا فأن التوظيف اللوني انما يأتي على وفق مبدا التزامن بصيغ جديدة واعية تتكيف والظروف الجديدة التي يفرضها العمل الفني .
٢- **التركيب** : ويعني بأن الفنان المصمم ليس معني بأخذ عناصر جاهزة، او اجزاء من عناصر جاهزة ووضعها في ترتيب شكلي زمني محدد، وانما معني بإعطاء تلك العناصر والانظمة دلالات مختلفة او متحررة نسبياً عن معانيها السابقة، من خلال اعادة تركيب تلك العناصر والنظم اللونية تبعاً للحالة الآنية المطلوبة من المبدع .

وعليه فإن الابداع المسرحي والتصميم السينوغرافي يعتمد على خاصية التوجه الموضوعي في معالجته للمواد الداخلة في نسيجه البصري – من عناصر وانظمة لونية – والمعتمدة على اعادة الصياغة واعادة التركيب على وفق التراتب الزمني بما يبعده عن التقليد والمحاكاة المتجمدة ويقربه نحو الابداع بما يحقق التركيب والصياغة الموضوعية التي تحقق العلاقة الموضوعية بين العناصر والانظمة اللونية وعناصر السينوغرافيا في العرض المسرحي .

اما المستوى الجمالي : فيبدأ من خلال بناء تصور فكري جديد لمكونات الواقع ومعطياته، ومن ثم تنظيمه في اشكال وصور وبناء جديد ممتع يعتمد في جزء كبير منه على الاستخدامات اللونية وانظمتها وخصائصها ودلالاتها . وإذا سلمنا بأن كل عمل فني هو خلق جديد لايعتمد بقاءه او موته على اتساقه او اختلافه مع الواقع، بل هو اضافة وتنمية لها[٩] .

فالبعد الجمالي الذي يحاول المبدع اسقاطه على عناصر وانظمة الالوان ومكوناتها البصرية والايحائية انما يعتمد على نظامه الخاص واسسه المتفردة المتحررة تماماً من الانسقة

والضرورات الواقعية والايقاع الواقعي، وحسب رأي هربرت ماركوز فأن "العمل الفني يكون جميلاً بقدر مايعارض نظام الواقع بنظامه الخاص"[١٠] .

لذلك فأن التوظيف الجمالي للمساحات البصرية في عناصر سينوغرافيا العرض المسرحي لايستكمل مقومات نجاحه الا من خلال العمل على تحقيق التفاعل مع المتلقي، واعتماد دوره في الادراك والتذوق، لان قيمة العمل الفني المبدع كما يقول ناثان نويلز لاتقاس بموضوعه وانما بما تستثيره من انفعالات جمالية تخلق الرضا النفسي عند المتلقي[١١] .

ان تحقيق الاثر الجمالي للعمل الفني يحيلنا الى تبنّي مفهوم الشكل والتأكيد على الخاصبة البصرية للعناصر اللونية، ويشكّل ذلك الشكل المساحة الخصبة لدى مصمم المناظر والازياء والاضاءة لتوظيف العناصر والانظمة اللونية بما يساهم في خلق التصور الجمالي لذلك الشكل ولألوانه على خشبة المسرح، ويتطابق هذا الرأي مع رأي الفيلسوف الجمالي (كروتشيه) حينما يتعاطى مشكلة الشكل في العمل الفني "فإنه لايتردد في تتويج الشكل، فالحقيقة الجمالية شكل ولاشيء غير الشكل"[١٢] بينما يرى (شوبنهاور) بأن الصور الفنية في العرض المسرحي تلعب دوراً جمالياً في خلق جو المسرحية الذي يسهم في تحديد شكل ومسار الاحداث[١٣] .

كما ان العناصر التشكيلية للمنظر المسرحي والازياء من كتلة، وملمس، وخامة ولون تشكل مجالاً رحباً للمصمم في تحقيق الاثر الجمالي للعناصر اللونية وانظمتها .

المبحث الثالث – القيم الدلالية للون :

إن اللون يتميز بمجموعة هائلة من القيم الدلالية التوليدية، وبإمكاننا ان نميزها من خلال الغريزة الوراثية والقوانين الجمعية التي لها علاقة بالحالة الاجتماعية والتأريخية، فإن "كل شخص مستقل عن غيره في الصفات والطبائع، ومن النادر ان يتماثل اثنان تماثلاً كاملاً، وبذلك يكون لكل شخص لون خاص يتميز به"[١٤] . وعبر الحضارات كانت الالوان محببة الى نفس الانسان ووسيلة عاطفية وجمالية للتعبير عما يدور في نفسه من شعور[١٥] وعرف الانسان كيفية تذوقه للالوان ودرجاتها المختلفة في ملبسه ومأكله ومشربه ومسكنه واثاثه وآلاته .... الخ .

إن لكل لون ضوء وقيمة، ولكل منها مدلول، وتظهر هذه الدلالات في التعبير الفني والرمزي للتكوين الانشائي او البنائي في الفن[١٦] .

لقد بدأت الدلالة اللونية حينما بدأ الانسان بالتحضّر او التمدّن، وكذلك حينما عرف السحر واوجد بناء المساكن ودور العبادة، ففي وادي الرافدين بدأ الانسان يرمز باللون لاماكن العبادة مثل الزقورات والابراج وزقورة اور كانت تحوي ثلاثة الوان هي الاسود الذي يوحي بالعالم السفلي

والاحمر الذي يمثل الارض والازرق المذهّب الذي يشير الى السماء والشمس، وكذلك ظهر في بقية الحضارات مثل وادي النيل وبلاد اليونان وفي حضارات جنوب شرق آسيا والهند وغيرها ... الخ

وبذلك عدّ اللون في كثير من البلدان رمزاً دلالياً للمدن المختلفة،، ولكل دولة او مدينة علمها الخاص بها .

ان مدلولات الضوء ودرجاته اللونية تلعب دوراً هاماً في رؤية الحياة العامة قديماً وحديثاً، ونجد بأن الالوان تتغير من سن الى سن آخر ومن جنس الى آخر، ومايلبسه الشباب من الوان زاهية قد لايقبل به الكهول او الشيوخ الذين يميلون اكثر الى الالوان المحايدة والقريبة من الرمادية، ومايرتديه الرجال من الوان قد لايناسب النساء التي تميل الى الالوان المتنوعة والاكثر جاذبية .

وان مظهر الالوان له دور عاطفي واضح عند الاطفال، ومن هنا فإن الباحث يؤشر مجموعة من القيم الدلالية للون وعلى الشكل الآتي :

١- على مستوى المجاميع والنظم اللونية، نجد بأن الالوان الحارة تدل على العاطفة وتمثل النار والانفعال والقوة والخطر والدم، وهذه الالوان تدل على السيطرة والتحكّم عند بعض الشعوب، ولهذا يلبس رجالها الالوان والعمائم الحمراء في الاحتفالات الرسمية لبعض الملوك في القرون الوسطى ورجال الدين المسيحيين كالكرادلة والبطاركة[١٧] .

اما الالوان الباردة فلها مدلولات واسعة في عالم الانسان، إذ تدل على الخير والخصب والسعادة، والغنى والأمل واليسر وصحة العقل والجسم، وهي ترمز للسلام الدائم والمحبة، وكذلك الالوان الحيادية والتي هي السوداء والبيضاء ومشتقاتها الاحادية فإنها تدل على الحزن والنكبات والاسى عند الافراد والشعوب، لذا نجد ان معظم الناس يلبسونها في المآتم والمراسيم الرسمية وايام الحزن الشديد وهي كذلك رمزاً للخيبة وفقدان الامل في نفس الوقت، وقد تدل على الوقار والرزانة وكتمان العاطفة في بعض الاحيان .

٢- على المستوى الفردي، فإن الالوان لها مدلولات على المستوى الفردي وعلى مستوى الافراد كل على حدا، فنجد بأن :

أ- الابيض : يدل على النقاء والطهارة والبراءة والتواضع والتضحية والضعف ويرمز للسلام وهو لون ملائكة الرحمة، ورمزاً للنقاء والهدوء والامل وحب الخير.

ب- الأسود : وهو نقيض الابيض في كل خصائصه، حيث يعبر عن الظلام والوحشية والكوارث والنكبات والموت والخوف والرعب والشر .

ج-الاحمر : وهو لون ساخن مثير سلبياً، وهو عدواني يرمز للعنف والاستفزاز والاثارة، ويرمز للجسد ومتعلقاته ايجابياً وقد يرمز للشجاعة، والقوة والدفء،[١٨] وهو يزيد من ضربات القلب ويسرّع في ايقاع الدورة الدموية، ويستخدم في المشاهد والمناظر الدالّة على الغضب والكراهية، وعلى الثورة والعنف والمغامرة . وقد يدل على التوقف ويرمز الى النار .

د- اللون البرتقالي : من الالوان الايجابية وهو لون ساخن يدل على الدفء والحرارة وكذلك يدل على السعادة والقناعة ويضفي نوع من الاثارة على المناظر والاشكال المرسومة .

هـ-اللون الاصفر : وهو لون اقل سخونة من الاحمر والبرتقالي سلبياً، وقد يعبر عن الجبن والانحطاط والضعف والغيرة والغش والمرض، وايجابياً هو لون يجذب الانتباه ويساعد على التنبيه، والفاتح منه يرمز للخطر والخيانة وعدم الامانة .

و-اللون البني : من الالوان المحايدة ويدل على الحصاد والخريف والوفرة ايجابياً وسلبياً قد يدل على المرض .

ز-اللون الاخضر : وهو لون بارد ايجابي، يرمز الى التجدد والربيع والامل، وهو مهديء للاعصاب، يدل على الحياة او قد يرمز سلبياً الى اليأس وفقدان الامل كما يقول آينشتاين، وهو كذلك يدل على الاستمرارية والتدفق وعدم الثبات .

ح-اللون الازرق : وهو احد الالوان الباردة، ايجابياً يدل على الامل والثبات والاخلاص والوفاء والهدوء ويقلل من الهياج والثورة، ويساعد الانسان على التركيز والاستغراق وخصوصاً الفاتح منه، وسلبياً يدل على الحزن والموت/ ويميل الى الاتساع والعمق .

ط- اللون البنفسجي : ايجابياً يدل على العظمة والابهة، فهو لون ملابس الملوك والاباطرة والحكّام وسلبياً يرمز الى الحزن والمزاجية الطاغية، ويعّد من الالوان الرومانسية، ويقال بأن "الموسيقار الكبير (فاجز) كان يحيط نفسه بستائر بنفسجية حين يبدع الحانه"[١٩] .

ي- اللون الارجواني : ويرمز الى الفخامة ويدل على الشجاعة والبطولة .

وبهذا نجد بأن الالوان والنظم اللونية هي كالموسيقى وحروفها لها مدلولات متعددة جداً، وكلما ازدادت خبرتنا في تطبيقها ارتفع بنا الذوق اللوني موسيقياً ليحاكي الذوق الانساني.

وحينما نتعمق بدراسة اللون والانظمة اللونية وتحليلاتها نجد بأن المدلولات تتميز بكونها حسية وبصرية، ولها علاقة بالحالة السايكولوجية والفسيولوجية والتأثير البصري الذي يوحي بالبعد والقرب، ويوضح لنا الجدول* المرسوم كل لون ودلالاته الفسيولوجية و السايكولوجية والمعنى الدلالي له .

الدراسات السابقة

تم فحص كافة الرسائل والاطاريح ولم يجد الباحث اي رسالة او اطروحه تناولت هذا الموضوع، وبمثل هذه التفاصيل .

مؤشرات الاطار النظري والدراسات السابقة

١-يشتغل اللون وانظمته وعناصره وخصائصه داخل الفضاء المسرحي عبر تقنيات العرض (السينوغرافيا) وضمن مساحات من التشكيل الجمالي للضوء الملون على المسرح .

٢-يساعد اللون على ايصال التأثيرات النفسية والتعبيرية وكثير من جوانب الفرح والحزن والفخامة ... الخ

٣-يعد اللون احدى الوسائل لتبادل الافكار الروحية .

٤-ان العناصر السينوغرافية تتفاعل واقعياً مع الضوء واللون لخلق جمالية الشكل الفني والتعبير عن الجو والبيئة الفنية للاحداث .

٥-يحملنا تحقيق الاثر الجمالي للعمل الفني الى تبيّن مفهوم الشكل والتأكيد على الخاصية البصرية للعناصر والانظمة اللونية .

٦-تتميز المدلولات بكونها حسية وبصرية، ولها علاقة بالحالة السايكولوجية والفسيولوجية والتأثير البصري الذي يوحي بالقرب او البعد .

الفصل الثالث : اجراءات البحث

إن مجتمع البحث هو ذاته عينة البحث، وقدر اختار الباحث مسرحية (علي الوردي وغريمه) تأليف واخراج المخرج عقيل مهدي، سينوغرافيا نجم عبد حيدر، وموسيقى ومؤثرات طارق حسون فريد، وقدمت على مسارح بغداد ٢٠٠٨، لكي يحللها تطبيقياً .

تعد مسرحية (علي الوردي وغريمه) واحدة من المسرحيات ذات الخطاب البصري الجمالي المتقدم، وذلك عبر الموازنة والمقارنة الجمالية في الخطاب البصري بين (علي الوردي) و (غريمه) عليوي الذي كان يمثل البداوة والتخلف والفكر الرجعي المتخلف .

إستطاع المخرج عبر رؤيته وافكاره الجمالية ان يوظف مجموعة من المفردات المشهدية البصرية لتشكيل منظومة العرض على مستوى الصور البصرية وعناصر تكوين الصورة من ضوء، منظر، لون، ازياء، اكسسوار، وممثل . كما واستثمر المخرج قدرات مصمم السينوغرافيا (نجم عبد حيدر) التشكيلية في توظيف الانظمة اللونية وتوثيق العلاقة الجمالية بين اللون كدال وصفته وخواصه كمدلول، فجاءت الرؤية الاخراجية لتحاكي تقنيات العرض الموزعة على جغرافية مساحة الخشبة المتمثلة باللوحات الثلاثة، والبراميل الكبيرة والصغيرة والمظلة والعصا بوصفها قطعاً اكسسوارية، وكذلك مفاتيح الحاسوب، الاسلحة القديمة والحديثة، والعلامات المرورية بالوانها

(الاخضر والاحمر والاصفر) والتي حاكى بها الوان العيون المختلفة (الحمراء والخضراء والصفراء والزرقاء) حيث جاءت دلالياً على الكاميرا التي توثق الاحداث على مر الزمن، ونجد لوحة الموتى التي ظهرت بلباس ولون ابيض ناصع مشع، وكذلك الوشاح ذو اللون الاحمر الذي يدل على الدم، وتمكن المخرج من استثمار المظلة لدلالات زمنية عدة فوظفت تارة على انها المجتمع الغربي كونها تمثل علاقة ربط مابين المكان الذي غرّب اليه وبين المرأة البولونية، وكذلك رمزت الى السقف الذي يجمع تحته الاشياء، وهي تستمر حتى تحصل الكارثة التي حلّت من بلده عند نزول لوحة الموتى وارتداء الغريم السترة الواقية من الرصاص ذات اللون الاسود بكل دلالاته عن الظلم والاستبداد ويضع على رأسه الكيس الاسود للدلالة على وجود قدره تحت رحمة الظالم المستبد بدلالة الاسلحة الاوتوماتيكية الحديثة لتضيف عليها المؤثرات الموسيقية وتشكيل الاغاني الشعبية (لعفيفة اسكندر وعزيز علي) شيئاً من السحر في الصورة الجمالية المعبرة عن روح المشهد والحدث عبر زمنين محصورين بين الاحتلال الانكليزي للعراق والاحتلال الامريكي له .

وبهذا تولّد فضاء المسرح عبر اللعب بتقنيات العرض السينوغرافية في مساحات من التشكيل الجمالي عبر الضوء الملوّن على المسرح في مركبة الفني والمسرحي واحالته الى شبكة فنية غير مالوفة في العرض الواقعي، وانعكاسه الى رموز ودلالات تنتج الحس الجمالي وتخلق روح التعاطف مع المتلقي، بما يشع من قيم تربوية واخلاقية.

وتميزت الاضاءة بأشكال البقع الهندسية (المربع والدائري والمثلث) ذات الالوان البيضاء الموشحة ببعض اللوحات ذات الالوان الصفراء المتساقطة على اجساد الممثلين. مع تسليط الاضاءة الحمراء على السايك، وذلك من اجل تحويل بنية المدرك الى صورة دلالية متعددة الالوان .

لقد ساعد اللون بوصفه وسيلة لتبادل الافكار الروحية عند الانسان في استخدام ثلاثة الوان هي الاسود الذي يوحي بالعالم السفلي والاحمر الذي يمثل الارض والازرق المذهّب الذي يشير الى السماء والشمس، وقد استعار ذلك من الاساطير البابلية واساطير بلاد الرافدين، كإشارات رمزية تتضمن اطياف المجتمع كافة من حيث الاستدلال بالوان العلم الاربعة وطنياً وايديولوجياً او مذهبياً وقومياً . وبذلك استفاد المخرج من مرجعياته المعرفية النابعة من عمق اشتغالاته الفكرية والجمالية في جسد الفلسفة، لتقديم تجربة تقنية جديدة على مستوى الخطاب البصري السينوغرافي، ويرسم ملامح جمالية ذات طابع ايديولوجي، من خلال عمله على شبكة المفردات السينوغرافية

التي شكّلت فضاء العرض المسرحي، واكّد القدرة على استثمار الانظمة اللونية في العروض المسرحية لتفتح افق الايحاءات والدلالات التأويلية لدى المتلقي .

الفصل الرابع

النتائج ومناقشتها

١-اصبح الخطاب البصري عبر استخداماته للانظمة والعناصر اللونية قادراً على انتاج معان عدة تساعد المتلقي على التأويل في مستويات متعددة .

٢-انفتاح الصورة البصرية على امكانات تركيبية تجمع مابين ازمنة متداخلة ذات دلالات توليدية، قادرة على انتاج معنى جديد من خلال توظيف الانظمة اللونية.

٣-يعد الضوء واللون عنصرين اساسيين في منظومة الخطاب البصري (السينوغرافية) على مستوى التوظيف .

٤-ان للانظمة اللونية قدرة على التعبير من خلال (الاشارة، الايحاء، والرمز) ساعدت السينوغرافية على الكشف عن المضامين الشكلية للعرض القائم على اساس جغرافية المكان ضمن الشبكة التوصيلية والدلالية . وبالتالي فإن المصمم بإستطاعته ان يوظّف تلك الانظمة اللونية في تشكيل الفضاء .

٥-اعتمدت سينوغرافيا عرض مسرحية (على الوردي وغريمه) على الايحاءات الماضية كدلالات لونية ضمنية، مكملة لتقنيات العرض من ازياء واضاءة ومؤثرات صوتية وموسيقية .

٦-إستفادة المخرج من مرجعياته المعرفية النابعة من عمق اشتغالاته الفكرية والجمالية في جسد الفلسفة لتقديم تجربة تقنية جديدة على مستوى الخطاب البصري السينوغرافي .

الاستنتاجات :

١-أسهم اللون في خلق التحولات في امكنة العرض في فضاءين عبر مختلف العلاقات الطقسية واللونية المؤسسة للسينوغرافيا المعمارية .

٢-اصبح التشكيل البصري عبر توظيف الانظمة اللونية واحداً من سمات الخطاب البصري (السينوغرافي) في منظومة العرض المسرحي .

٣-يدخل اللون والمنظومة اللونية بوصفه عاملاً اساس في تصميم عناصر سينوغرافيا العرض من منظر وملابس وماكياج ... الخ .

الهوامش :

[1] ابن منظور، لسان العرب، بيروت : دراسات لسان العرب، م٣، ب ت، ص٩٤٩ .

[2] احمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد بن هارون، القاهرة : دار الفكر للطباعة والنشر، ج٦ ١٩٧٩ ص ١٠٥ .

[3] ينظر، جميل صليبا في المعجم الفلسفي، مادة النظم ج٢، بيروت : دار الكتاب اللبناني ١٩٧١ ص ٧٥ .

[4] Webster, organized society, establishment 1973. P184.

[5] Brigges instructional design educational technology publications, new Jersey. 1977, p21.

[6] ينظر فابرتيز كروتشاني، فضاء المسرح، ترجمة اماني فوزي حبيش : القاهرة، مطابع المجل الاعلى للآثار، ٢٠٠١ ص هـ.

[7] ينظر عادل كامل، البعد الجمالي في الاتجاهات الفنية، مجلة آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٦، العدد السادس، ص١٠٠ .

[8] ماهر راضي، فن الضوء، منشورات وزارة الثقافة : سوريا، دمشق، ٢٠٠٥، ص ١٢٣ .

[9] ينظر عبد العزيز حمودة، علم الجمال والنقد الحديث : القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ص١٧ .

[10] هربرت ماركوز، البعد الجمالي، تر جورج طرابيشي: بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩، ص٨١ .

[11] ينظر ناثان نويلز، حوار الرؤية، تر فخري خليل : بغداد، دار المامون للترجمة والنشر، ١٩٨٧ ، ص٩٩ .

[12] عبد العزيز حموده، علم الجمال والنقد الحديث، مصدر سابق، ص٢٣ .

[13] ينظر سيد شحاته، علم جمال الموسيقى، القاهرة : مطابع الاهرام التجارية، سنة ٢٠٠٦، ص٢٣٣ .

[14] عياض عبد الرحمن امين، مفهوم اللون ودلالاته في الدراسات التأريخية، بغداد / دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٩ ، ص١٤٦ .

[15] للمزيد ينظر، جمال الخطيب، اللون والنفس، منشورات مركز الحسين الطبي، عمان، ٢٠٠٧، ص١٦ .

[16] ينظر، الين استون وجورج سافونار، المسرح والعلاقات، ت سباعي السيد : القاهرة، ١٩٩١، ص٧٠ .

[17] للمزيد ينظر، فرج عبو، علم عناصر الفن، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد : بغداد ١٩٨٢ ج١ ص١٣٥ – ١٣٦.

[18] للمزيد ينظر عياض عبد الرحمن، مصدر سابق .

[19] عياض عبد الرحمن، نفس المصدر السابق ص١٣٨.

* الجدول في الملحق رقم ١ في نهاية البحث .

المصادر

الكتب والمراجع

١- ابراهيم، زكريا، مشكلة الفن، القاهرة : مكتبة مصر، ١٩٧٦ .
٢- استون، الين وجورج سافونا، المسرح والعلامات، تر سباعي السيد: القاهرة، ١٩٩١ .
٣- الخطيب، جمال، اللون والنفس، منشورات مركز الحسين الطبي: عمان ٢٠٠٧.
٤- بوبوف، ألكسي، التكامل الفني في العرض المسرحي، تر عبد الباقي محمد ابراهيم : القاهرة، مؤسسة طباعة الالوان، ١٩٦٨ .
٥- حمودة، عبد العزيز ،علم الجمال والنقد الحديث: القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية .

٦- حيدر، نجم عبد، علم الجمال آفاقه وتطوره: بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠١ .
٧- راضي، ماهر، فن الضوء، منشورات وزارة الثقافة: سوريا، دمشق، ٢٠٠٥ .
٨- راجيف، رومين، التكوينات البنائية في التصميم، تر. محمد عبد الرحمن الجبوري، مراجعة وتقديم عقيل مهدي يوسف: بغداد، مكتبة الفتح ٢٠٠٩ .
٩- شحاتة، سيد، علم الجمال الموسيقي: القاهرة، مطابع الاهرام التجارية،٢٠٠٦ .
١٠- عبد الرحمن، عياض ، مفهوم اللون ودلالاته في الدراسات التأريخية، بغداد/ دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠٩ .
١١- عبو، فرج، علم عناصر الفن، وزارة التعليم العالي، جامعة بغداد : بغداد، كلية الفنون الجميلة ١٩٨٢.
١٢- كروتشياني، فابرثييزيو، فضاء المسرح، ترجمة اماني فوزي حبيش : القاهرة، مطابع المجلس الاعلى للآثار، ٢٠٠١ .
١٣- نويلز، ناثان، حوار الرؤية، تر فخري خليل : بغداد، دار المامون للترجمة والنشر، ١٩٨٧ .
١٤- هاورد، باميلا، ماهية السينوغرافيا، تر.محمود كامل : القاهرة، وزارة الثقافة/ مهرجات القاهرة، ٢٠٠٠ .
١٥- هربرت ماركوز، البعد الجمالي، ت جورج طرابيشي: بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٩ .

الرسائل والاطاريح

١-ايمان طه ياسين، الانظمة اللونية ودورها في تحقيق التنوع اللوني في اخراج الاعلانات التجارية، رسالة ماجستير (غير منشورة) بغداد : جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٧ .

المجلات والدوريات

١-كامل عادل، البعد الجمالي في الاتجاهات الفنية، مجلة آفاق : بغداد ١٩٨٦ .